السياسة الداخلية والخارجية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور جوستينيان

Internal and external policy of the byzantine empire during the reign of emperor justinian

طويل عماد.touil imad*

جامعة محمد لمين دباغين/سطيف2 touilimad429@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/07 تاريخ القبول: 2022/10/30 تاريخ النشر: 2022/12/28

ملخص:

لقد اتسعت الإمبراطورية الرومانية مشارق الأرض ومغاربها حيث شملت كل من أوروبا إفريقيا و أسيا، سيطرت بذلك على كامل مناطق البحر المتوسط حتى سمي باسمها "بحر الروم"، وقد أدى هذا الاتساع الكبير إلى انقسامها إلى قسمين شرقي و غربي (روما الشرقية عاصمتها بيزنطا وروما الغربية عاصمتها روما) ، سبب ذلك الانقسام ضعفا كبيرا لروما الغربية أدى إلى سقوطها على يد القبائل الجرمانية (قبائل القوط) أواخر القرن الخامس ميلادي، غير أن الحضارة الرومانية استمرت متمثلة في روما الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية وعاصمتها بيزنطة) التي ستواصل فرض سيطرتها و قوتها في البحر المتوسط،والهدف من البحث هو دراسة شخصية الإمبراطور البيزنطي جوستينيان، والبحث في السياسة الداخلية و الخارجية التي انتهجها هذا الأخير في كل من إفريقيا أوروبا واسيا، والذي سعى إلى تجسيد مبدأ شرعية ميراث روما الشرقية لأقاليم روما الغربية الضائع في يد القبائل الجرمانية ، حيث اعتمدنا المنهج السردي التحليلي المقارن في دراسة مختلف الأحداث التاريخية التي حدثت في العالم القديم مع بداية القرن السادس للميلاد و التحولات التي عرفتها مختلف الإمبراطوريات القديمة في كل من إفريقيا أسيا و أوروبا ومختلف الحروب التي ظهرت في البحر المتوسط والتي كانت للإمبراطورية البيزنطية المتسبب الرئيسي فيها بسبب سياسة الإمبراطور جوستينيان و الحروب التي خاضها لاسترجاع أمجاد الإمبراطورية الرومانية القديمة ، وقد استطاع الإمبراطور جوستينيان تنظيم الإمبراطورية البيزنطية على المستوى الداخلي و الخارجي و إعطائها هيبة في البحر المتوسط، فقد اعاد التنظيم الذي كان غائبا في الادارة المركزية وفي المقاطعات المجاورة التي تم

* المؤلف المرسل: طويل عماد، الإيميل: touilimad429@gmail.com

السيطرة عليها، كما أسس لإمبراطورية قوية ومتينة قاومت المد الفارسي في الشرق واستمرت لعدة قرون بنفس الهيبة بعد وفاة الإمبراطور جوستينيان .

كلمات مفتاحية: جوستينيان ،السياسة،الإمبراطورية ،الحروب الخارجية ،الفرس، القبائل الجرمانية.

Abstract :

The Roman Empire extended the land east and west, including all of Europe, Africa and Asia, thus controlling all of the Mediterranean regions until it was named d 'after its name "The sea of rome". This great expansion led to its division into two parts, the east and the west (Eastern Rome is its capital, Byzantium and Western Rome. Its capital is Rome), the division caused great weakness in Western Rome, which led to its fall to the Germanic tribes (the Goths) in the late 5th century AD, but Roman civilization continued to be represented in eastern Rome (the Byzantine Empire and its capital Byzantium), which would continue to impose his control and his power at sea The aim of the research is to study the personality of the Byzantine emperor Justinian, and to research the internal and external policies carried out by the latter in Africa, Europe and Asia, and which sought to embody the principle of the legitimacy of the Eastern Roman heritage to the western regions of Rome lost in the hands of the Germanic tribes. Analytical narrative compared in the study of various historical events which occurred in the ancient world at the beginning of the sixth century AD and the transformations which took place in the various ancient empires throughout Africa, Asia and the Europe and the various wars that arose in the Mediterranean, which were the main cause of the Byzantine Empire due to the policies of Emperor Justinian and the wars he fought to restore the glories of the old Roman Empire, and Emperor Justinian was able to organize the Byzantine Empire internally and externally and give it prestige by reorganizing the Mediterranean Sea, absent from the central administration and neighboring controlled provinces, and establishing a strong and solid empire that resisted to the Persian tide in the East and lasts for several centuries with the same prestige after the death of Emperor Justinian.

Keywords: . Justinian, Politics, Empire, Outer wars, Persians, Germanic tribes

مقدمة:

الدارس لأحداث التاريخ الروماني القديم يلاحظ أن قوة الإمبراطورية الرومانية يكمن في قوة أباطرتها الذين يحكمونها وضعفها يكون نتيجة ضعف أباطرتها، من ذلك ما نجده أواخر القرن الأول قبل الميلاد وانتقال روما من النظام الجمهوري إلى النظام الإمبراطوري حيث عرفت فترة حكم اوكتافيوس أغسطس أول أباطرة روما زيادة توسيع السيطرة الرومانية في شمال إفريقيا وفي مصر وفي بلاد الغال وهذا بفضل حنكته وقوته في نقل روما من نظام جمهوري إلى نظام إمبراطوري، نفس التطور نجده في عهد سبتيموس سيفيروس وابنه كاركلا أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد أين بلغت الإمبراطورية الرومانية أوج قوتها ويعود ذلك لقوة الإمبراطورين، وهو ما لمسناه في شخصية الإمبراطور البيزنطي جوستنيان وطموحه في استرجاع مجد روما القديمة ومحاولة استرجاع الأقاليم التي كانت تسيطر عليها الى حدود الامبراطورية البيزنطية الوريث الشرعي لها .

وللبحث في الموضوع يمكن التساؤل : **هل استطاع الإمبراطور جوستينيان استرجاع مجد روما القديم ؟ وما سر قوة الإمبراطور جوستينيان ؟ وهل استطاع تحقيق أهدافه داخل بيزنطا وخارجها ؟ وما هي سياسته الداخلية والخارجية لتحقيق ذلك ؟ وكيف كانت نهايته ونهاية الحلم الذي سعى لتحقيقة ؟**

والهدف من البحث هو دراسة شخصية الإمبراطور البيزنطي جوستينيان، والبحث في الطرق والسبل والسياسة التي انتهجها هذا الأخير لاسترجاع مجد روما القديمة في كل من أراضي إفريقيا أوروبا واسيا، والذي اتخذ في مسعاه إلى تحقيق مبتغاه، مبدأ الحق والشرعية في ميراث روما الشرقية لأقاليم روما الغربية الضائع الذي أصبح تحت سيطرة وإدارة القبائل الجرمانية .

وتقديم ما أحاط بتكوين شخصية الإمبراطور جوستينيان، ودراسة أهم القوانين التي سنها للنهوض بالإمبراطورية البيزنطية، وإبراز أهم الدوافع التي دفعت بالإمبراطور جوستينيان إلى البحث عن استرجاع مجد روما القديمة، وسعيه لاسترجاع الأقاليم التي كانت تسيطر عليها روما القديمة، كما سنحاول في تحديد المناطق التي استطاع الإمبراطور جوستينيان الوصول إليها واسترجاعها بالقوة ، وضمها إلى ممتلكات الإمبراطورية الرومانية البيزنطية .

اعتمدت المنهج السردي الوصفي والمنهج التحليلي، وذلك بسرد مختلف الأحداث وأهم الوقائع التاريخية التي حدثت في عهد الإمبراطور جوستينيان ووصف مختلف الشخصيات التاريخية واهم الثورات والمناطق التي توسعت فيها الجيوش البيزنطية وتحليلها انطلاقا من أحداث أخرى وقوانين جديدة تم سنها .

1- الإمبراطور جوستينيان:

1.1 المولد والنشأة:

ولد جوستنيان من أبوين مزارعين من أصل إليري ، كانا يقيمان بالقرب من مدينة سرديكا (مدينة صوفيا حاليا) سنة 482 (ديورانت ،1972م، ص88)، بعيدا عن العرش و الملك و في بيئة بسيطة جدا في وسط الجبال بالقرب من إقليم إليريا، واسمه الكامل هو فلافيوس بيتروس سابتيموس جوستينيانوس (Flavus pitrus Saptumus Justinianus)، أما الاسم المعروف به و الشائع عند المؤرخين فهو جوستينيان(Iavisse, Rambaud, 1894, p11) ، أتى به عمه جوستان (Justin) وهو صغير إلى القسطنطينية حيث تبناه وحرص أن يدخله في سن مبكرة إلى المدرسة لتعلم الثقافة و التقاليد الرومانية والإغريقية، وقد أمضي سنوات شبابه في الدراسة و التعلم، فأصبح بمثابة المهندس و الفيلسوف و الفقيه و المشرع و المعماري(Isambert, 1865, p4).

حصل جوستنيان الشاب ثقافة واسعة في عصره، حيث تكلم وأتقن اللغة اللاتينية أحسن بكثير من اللغة الإغريقي (Diehl, 1901, p3)، وأصبحت له طموحات سياسية كبيرة، بالموازات مع تعدد رغباته و ميوله، (العريني ،1982،ص465) كما عرف و تعلم مبادئ التسامح في الدين المسيحي وبالخصوص في المذهب الكاثوليكي، كما انكب عند بلوغه سن الثلاثين من عمره على دراسة و فهم مقاليد الحكم وسير أجهزة الدولة، فكان بفضل ما اكتسبه من معارف وخبرات في شتى مناحي الحياة من الشخصيات البارزة في الإمبراطورية، الشيء الذي أهله لتقلد المناصب السياسية و العسكرية (Limousin, 2005, P36) ، فعينه عمه جوستان في بداية مشواره السياسي وزيرا ، كما لم يتوانى عمه في تبنيه بصفة رسمية و إشراكه في العرش بداية من شهر أفريل من سنة 527م، لما رأى فيه من مواهب ومهارات في إدارة المهام الصعبة(Isambert, 1865, p41) .

وقع جوستينيان الشاب في حب فتاة ذات جمال كبير ، كانت في ذلك الوقت تمتهن فن التمثيل المسرحي تدعى تيودورا (Théodora)، غير أنه كان هناك قانون يمنع على عضو السيناتو (sénat) أن يتزوج من ممثلة (مرسي، 2009م ص206) ، فاضطر جوستنيان بعد توليه عرش الإمبراطورية البيزنطية إلى إلغاء هذا القانون حتى يجعل زواجه من ثيودورا شرعيا ، وقد تزوج منها رغم معارضة أمه و عمه جوستان على هذا الزواج، و المعروف عن ثيودورا أنها كانت ذات جمال كبير ، حيث نجد لها صورة في كنيسة سانت فيتال (Saint- Vital) في مدينة رافانا بايطاليا تظهر ذلك (جوزيف ،1984م ، ص73)

تحدث المؤرخ البيزنطي بروكوب (Procope) عن تيودورا زوجة جوستينيان في كتابه التاريخ السري Histoire Secret ، و وصفها بأبشع الصفات وقد ذكر أنها ذات سمعة سيئة في المجتمع البيزنطي كما كان يراها، والملفت للنظر أن هذا الكتاب لم ينشر إلا بعد وفاة الإمبراطور وزوجته، الأمر الذي يجعلنا نشكك في ما ورد فيه في حق الإمبراطور و زوجته، ومن الممكن أنه بالغ كثيرا في الحكم على الإمبراطور جوستينيان و زوجته ثيودورا ، حيث لم تكن هذه الأخيرة أكثر من امرأة عاهرة عنده ، أما جوستينيان حسبه فكان ينقاد

إلى شهواته و ملذات الحياة و يقضي معظم أوقاته في التسلية و المجون (جوزيف ،1984م ، ص 72) في حين نجد المؤرخ بروكوب في كثير من كتاباته الأخرى يمجد الإمبراطور وزوجته ويثني عليهما وعلى جهودهما الكبيرة في تسيير الإمبراطورية البيزنطية، كما يثني كثيرا على الانجازات التي قام بها الإمبراطور، و مختلف الانتصارات التي حققها داخل و خارج الإمبراطورية البيزنطية ضد الفرس القوط و الوندال، الأمر الذي يبعث الشك عن ما رواه عن الإمبراطور و زوجته.

لعبت ثيودورا دورا كبيرا في تسيير أمور الإمبراطورية و التحكم في قرارات الإمبراطور، ودليل ذلك أنه في سنة 532م حدثت حرب أهلية كبيرة كادت أن تقضي على ملك الإمبراطور جوستينيان وهي ثورة نيكا (Nika) ، حيث قرر جوستينيان الفرار و مجموعة من مساعديه و اللجوء إلى مدينة أخرى من المدن البيزنطية لولا تدخل زوجته وموقفها الشجاع وإقرار القتال إلى النهاية أو الموت و تشجيع زوجها في الصمود على ذلك (*Bréhier, 1969 p.33*)، ويذكر إيزمبار (Isambert) في ذلك على أن ثيودورا وقفت ضد هذا الجبن و الغباء وقالت للإمبراطور من سيصبح الأمير الهارب ؟ متى نكون شرف للعرش يجب أن ندافع حتى النهاية أو الموت، وهو الشيء الشجاع الذي بدر منها و حقق لها و لزوجها النجاح و كانت بمثابة الدعم و السند في الأوقات الصعبة(Isambert, 1865,) p10.

والموقف الثاني الذي يبرز ويؤكد شجاعة الإمبراطورة ثيودورا و مساندتها للإمبراطور جوستينيان في الأوقات الصعبة من فترة حكمه، مواجهته له حينما عزم على الفرار عندما قالت له: "أنج بنفسك أيها الإمبراطور فلديك المال و السفن في انتظارك و البحر خال من الأعداء، أما أنا فإني باقية هنا وإن المثل القديم يقول العباءة الأرجوانية هي خير الأكفان " (عمران ، 2002 م ص49). يظهر من ذلك أن تيودورا زوجة الإمبراطور جوستينيان قد ساهمت مساهمة فعالة في تحقيق التوسعات الكبيرة التي أراد الإمبراطور الوصول إليها، كما أنها ساعدت بعزم وشدة في بناء قوة الإمبراطورية البيزنطية على المستوى الداخلي و الخارجي .

2.1 صفاته ووصوله إلى الحكم :

وحسب ما يذكر إيزمبار(Isambert) أنه خرج ثلاثة شبان من الفلاحين من أصل إليري، و هم زمارك (Zimarc) وديتي بست (Diti-biste) و جوستان (justin) ، حيث كانت ظروفهم المعيشية و الاجتماعية جد صعبة ، ونتيجة لذلك غادروا بيوتهم سيرا على الأقدام وفي أيديهم بعض الأكل متجهين إلى القسطنطينية وكان هدفهم هو الانخراط في الجندية و الجيش وقد تم لهم ذالك، و بعد مدة أصبحوا من خيرة رجال الجيش في فترة حكم الإمبراطور أنسطاس (Anastasse)، وقد أظهر جوستان عم الإمبراطور جوستينيان شجاعة كبيرة في الحروب التي كانت بين بيزنطا و الفرس، و بدأ يرتقي في المراتب حتى أصبح جوستان بأمر من الإمبراطور أنسطاس (Anastasse) قائد جنود القصر، كما حظي جوستان بمكانة عالية لدى الإمبراطور رغم أنه لم يكن يعرف القراءة و لا الكتابة (Isambert, 1856 p73).

مات الإمبراطور أنسطاس (Anastasse) سنة 518م وهو آخر أباطرة الأسرة الأيونية و انتقل الحكم إلى رئيس حرسه جوستان الأول (justin) ، وبه انتقل الحكم إلى أسرة جوستينيان حيث حكم جوستان الإمبراطورية البيزنطية مابين 518 الى527م (جوزيف ،1984م ، ص66)، وهو في سن الثامن و الستون من عمره (68سنة) (جيبون ، 1997م ،ص265) وقد عرف عدة عراقيل قبل أن يجلس على كرسي العرش خاصة من قبل أقارب انسطاس الذين هم أحق بالملك من جوستان وعائلته(Pietri. 1966 , p95)

مات جوستان في 01 أوت 527م وقبل ذلك بعدة أشهر كان قد تبنى رسميا ابن أخيه جوستينيان و بالضبط في شهر أفريل، حيث أشركه في الحكم ،وخلفه جوستنيان في حكم الإمبراطورية ابتدءا من سنة 527 و عمره 45 سنة (Lavisse, , Rambaud, ,1894,p175)، اعتلى جوستنيان عرش الإمبراطورية بصفة رسمية عام 527م و كان الحاكم الفعلي للإمبراطورية، حيث كان يميل للبساطة في عيشه و التودد في معاملة الناس كما كان يعمل ليلا نهار حتى أطلق عليه لقب الإمبراطور الساهر(عمران. ،2002،ص46)

والحديث عن الخصوصيات و الصفات التي اتصف بها الإمبراطور جوستينيان كثيرة، فقد كان شابا مثقفا تلقى كل علوم عصره ومعارفه و كان ذو ذكاء حاد يميل في حياته إلى البساطة في العيش ، كما كان محبا للظام ،ومن صفاته أيضا حبه للعمل و العزيمة التي لم تعرف الملل في مباشرة أعمال الحكم ، كما أنه لم يتسامح في أمور الدين و يعتبر بذلك من أكبر الأباطرة النين حكموا بيزنطة من ناحية اتساع فتوحاته وعظمة المشاريع التي قام بها (جوزيف ،1984،ص70)

ومن صفاته الجسدية أيضا حسب شارل ديل (Charles Diehl) أنه كان متوسط القامة ذو بشرة فاتحة ولم يكن ضخما ولا سمينا ووجه دائري ،ورأس جميل وانفه إلى اليمين، وشعره مشبك ولكن من خلال صورة (Saint-Apollinaire) تبين أن الإمبراطور ثخين (غليظ)،وعضلات الوجه مملوءة والعينان مدورتان وأكثر عمق و الشارب لا يوجد فيه شعر.(Diehl,1901, p05)

يقول ويل ديورانت في مجلده الرابع من كتاب قصة الحضارة على أن الإمبراطور جوستينيان كان يستيقظ باكرا، و كان كثير الصيام كما كان متقشفا في طعامه و شرابه، و كان يدرس كثيرا ليصبح موسيقيا مهندسا و معماريا و شاعرا ومشرعا و فقيها في الدين و فيلسوفا (ديورانت ،1972،ص88)

هذا وقد كانت له فكرتان يريد تجسيدهما في الإمبراطورية وفي فترة حكمه و هما : فكرة الإمبراطورية وفكرة المسيحية، كما كان موهوبا و خبيرا في انتخاب ذوي الكفاءات العالية ممن يتصل بهم و يوجههم في تنفيذ سياسته و يقرن اسمه في هذا المجال بعدد من الأسماء الخالدة التي كان لها الأثر الكبير في تاريخ عصره وكل اسم يرتبط بناحية من نواحي العمل و الإنتاج، ومن أمثلة ذلك نذكر القائد العسكري نارسيس (Narsisse) وبليزاريوس (Blaisarus) في فن الحرب و قيادة الجيوش، ونذكر أنثيميوس (Anthémus) في فن البناء و العمارة مثل كنيسة أيا صوفيا التي كانت من تصميمه و نذكر أيضا المشرع تريبونيان (Triponien) وهو من كبار المشرعين في ذلك العصر الذي اعتمد عليه الإمبراطور جوستينيان في تشريعاته وكذلك نجد يوحنا الكابدوكي (Jean Capadocien) كبير مستشاري الإمبراطور ووزيره في الشؤون المالية، حيث ساهم كل

واحد من هؤلاء في بناء صرح الإمبراطورية البيزنطية و تجسيد المشاريع التي كان الإمبراطور يسعى لتحقيقها. (جوزيف ،1984م ص71)

أما عن سلبياته رقة طبعه ،حيث كان من السهل التأثير فيه، هذا و كان كثيرا ما يتقلب في سياسته و يخضع في أحكامه لزوجته ثيودورا ، و قد خصه بروكوب (Procope) بمجلد يصفه فيه (المخادع و عديم الأخلاق منافق يخفي عن الناس غضبه و يستطيع أن يذرف من عينيه الدمع إذا اقتضى الأمر) كما يقول فيه أيضا بانه (كان صديقا متذبذبا في صداقته عدوا إذا عقد هدنة لا يحافظ على عهده حريصا كل الحرص على الاغتيال و النهب) (ديورانت، ،1972م ، ص88)

ويقول فيه أيضا (كان ميالا لارتكاب الشر و بذات الوقت من السهل تضليله و كان وغدا محتالا مثلما كان مغفلا ساذجا ووفق ما يقول العامة كان كذابا و لا يستعمل الصدق أبدا مع من هم حوله في أي وقت و في أي مكان ....)(بروكوب ،2003، ص82).

غير انه لا يمكننا تصديق كل ما يقوله بروكوب عن الإمبراطور جوستينيان ذلك انه وبالرغم من المساوئ التي ارتكبها و الموجودة في شخصه إلا أن الأعمال و الانجازات التي حققها في المجال الإداري و التشريعي فهي كبيرة و كذلك الدور الذي لعبه في استرجاع أملاك أو البعض من أملاك الإمبراطورية الرومانية في كل من شمال إفريقيا المشرق و ايطاليا و شبه الجزيرة الأيبيرية كلها انجازات تبين قوة و أهمية هذا الإمبراطور في السيطرة و التحكم في أمور عجز عنها الكثيرين من الأباطرة قبله في تحقيقها .

3.1 سياسته الداخلية:

في الوقت الذي اعتلى فيه جوستنيان السلطة كانت الدولة البيزنطية جد منهارة (Diehl,1901, p268)نتيجة الضربات الخارجية التي تعرضت لها خاصة من طرف الفرس، حيث انعدم الأمن والاستقرار في الدولة و انتشر الفقر و ازدادت الأمور خطورة نتيجة تدخل أصحاب المال و الملاك الكبار، و كذا حقد أقارب اناسطاس (Anastase) على الإمبراطور جوستينيان و المطالبة في حقهم في الحكم، وظهر صراع الأحزاب الدينية ، و أمام هذا الوضع أدرك جوستنيان أن أمامه عملا كبيرا لإعادة الاستقرار و الأمن في المنطقة و رأى أنه لا بد من إصلاحات شاملة تمس كل جوانب الحياة خاصة الاجتماعية منها (العريني ،1982،ص79) حيث شرع في إعداد قوانين لا تقبل الجدل و الـ نقاش و جمع وركب من أكبر التشريعات القديمة قوانينه و أعطاها نوع من التعديل ما يتناسب مع الإمبراطورية التي كان يحلم بتكوينها و جعل هذه القوانين قوانين الإمبراطورية التي يحكمها. (Diehl., 1936, p.82)

وقد ركز منذ البداية على محاولة استعادت أملاك الإمبراطورية الرومانية الضائع في الشرق و الغرب، و جعل إدارة الحاكم المطلق هي القانون الأوحد في الإمبراطورية المسترجعة، كما كان عمل على إصلاح نظام الحكم و تخفيف الأعباء عن سكان الولايات و ذلك بتخفيف الضرائب، وفيما يلي إبراز سياسة الإمبراطور الداخلية :

1.3.1 في المجال الإداري :

سادت أوضاع جد خطيرة في الإمبراطورية بعد ثورة نيقا (Nika) عام 532م ،حيث استغل أصحاب الأملاك الكبيرة الظروف التي تمر بها الإمبراطورية واستولوا على جانب من أراضي الإمبراطورية، و سيطروا على الأهالي واحتواء جباة الضرائب بالرشوة كما اتسعت أملاك الكنيسة و الأديرة و تمتع رجالها بنفوذ قوي. (عمران ، 2002 م ، ص50)

ولتجنب ذلك دعا الإمبراطور جوستينيان إلى ضرورة إصلاح عيوب الإدارة في الدولة حيث قام بتعديل نظام الوراثة وأمر بمصادرات لبعض الممتلكات التي تم الاستيلاء عليها، و جرت محاكمات دينية ترمي إلى حرمان الكنيسة من ممتلكاتها التي سيطرت عليها بطرق غير قانونية، رغم كل ذلك لم يستطع جوستنيان من القضاء على الممتلكات الكبيرة التي أخلت من مظاهر الحياة في الدولة البيزنطية ، ولتأمين الخزانة العامة ألزم على رعاياه دفع ما للحكومة من ضرائب حسب ما جاء في قوانينه و هذا دليل على أنه يريد حماية الخزانة العامة، كما أصدر سنة 535م مرسومين في غاية الأهمية تضمنا القواعد الأساسية للإصلاحات الإدارية ،و تحديد واجبات موظفي الحكومة، و أمر في المرسوم الأول: بضرورة حسن معاملة الرعايا و عدم قبول الرشاوى و مراعاة كل ما يصدرونه من أحكام قضائية و إدارية و كذا محاربة الجريمة ،و خلاصة هذا القانون أنه من واجب الموظفين أن يكونوا أمناء و على الرعايا القيام بدفع ما عليهم من ضرائب و تأديته دون هروب من ذلك، و فيما يخص حكم الأقاليم في الشرق فقد كانت هناك نزاعات كبيرة لا سيما على الحدود، و هو ما أرغم جوستنيان على جمع الأقاليم الصغيرة و جعل منها وحدات كبيرة، كما اتخذ لقب البريطور (Praetor) ، وطبق سياسة الفصل بين السلطتين المدنية و العسكرية خاصة في الغرب من شمال إفريقيا و ايطاليا. (العريني ،1982،ص84)

و كان يعتقد جوستنيان في ظل هذه الأوضاع أن يكون العمل الإداري من اختصاص السلطة الإمبراطورية ، وبذلك عمل على إعطاء المركزية الإدارية لعمل إدارة مدنية جيدة قوية و التي كان ينوي تشكيلها، وكان يبحث و يحث على ضرورة الأمانة و أمانة الإداريين و نظام آمن من كل الخلافات الإدارية (العريني ،1982، ص86)

حيث أصدر مرسومين سنة 535م أي بعد ثمان سنوات من حكمه فرض فيهما مبادئ الإصلاحات الإدارية و خط في عبارات دقيقة و واضحة عددا من الواجبات التي عرضها على قضاته و حكامه الإداريين حيث يقول " من الآن فصاعدا يجب على الحكام وعلى السكان و الرعايا مراعاة و الائتمان ضد كل المظالم و عدم

قبول الرشاوى و يظهرون بالتساوي في أحكامهم في أعمالهم الإدارية ومتابعة المجرمين و عقابهم حسب القانون ويجب على الحاكم أن يكون كالأب في عنايته بأولاده" (Diehl, 1901,p.280) .

و لتجسيد إدارة قوية متينة تكون فعالة، فرض جوستنيان على كل موظف جديد التعاون مع الآخرين، كما ألزم على القساوسة، الرهبان و كبار المسؤولين في الدولة و على رجال الدين الحضور للاحتفالات الرسمية و بهذا العمل تكفل بالحكم (دون تدليس دون إحتيال) ، كما دعا جوستنيان لتجسيد المبادئ الأساسية للإصلاحات الإدارية و دون توقيف المراسيم الإدارية و عمل على تطبيقه كما كان يريد، و نفس الشيء قام به في المقاطعات التي كان من الصعب التحكم فيها حيث دعا إلى الالتزام بالأوامر في البلدان و المناطق المضطربة وضرورة استجابة الشعب لأوامره (Diehl, 1901, p.280)ولكي يرجع الحكومة المحلية اكبر قوة و السلطة المركزية اكبر طاعة وضع إصلاحات اكبر دقة و خاصة التي كانت ضرورية .

كما قام ربط المقاطعات الغنية بالفقيرة حتى تغطي الأولى عجز الثانية و ربط الأبناء بوظائف الآباء خاصة فيما يتعلق بخدمة الأرض، كما اعتنى بالعاصمة وعين عددا من الحكام الكويستور (Quaestor)، وقام بمنع حفلات سباق الخيل حتى لا تتكرر حادثة نيكا (Nika) ووضع رقابة شديدة على التكتلات الرياضية و السياسية ،وأصدر تعليمات بالمحافظة على الجسور و الطرق و أسوار المدن و خزانات المياه كما أعاد بناء كنيسة أيا صوفيا سنة 532م و أنشأ القصر المقدس سنة 538م و بنا عددا من الكنائس و المستشفيات. (عمران ، 2002 م، ص52)

ومن بين الأشخاص اللذين اعتمد عليهم جوستنيان في تسيير أمور الدولة نذكر يوحنا الكابادوكي Jean (Capadocien) هذا الرجل من أصول مجهولة ارتقى في المناصب لدهائه و فطنته و كان شديد الذكاء ،لكنه كان من المتسببين في ضعف الدولة بسبب إبتزازه المال و الغش حتى ثار الشعب ضده في 532م وطالبوا بسقوطه ليقوم بعد ذلك جوستنيان بإبعاده ولكن لمدة قصيرة فقط.(Lavisse, (Rambaud, 1894, p. 187

2.3.1. في المجال العسكري:

قام الإمبراطور في بداية حكمه بتعديل أنظمة الجيش و إدخال الخطط الجديدة و المستحدثة على أساليب الحرب و القتال، فبينما كانت الجيوش المعادية تعتمد على الأسلحة الرومانية القديمة حيث استعمل جنود بليزاريوس القوس و السهام ليضربوا بها العدو من بعيد قبل أن يصل العدو إليهم و يلتحموا بالسيوف، كما قسم القائد بليزاريوس الجيش إلى فرق صغيرة من الفرسان ليضمن سرعة تحركاتهم في تنفيذ الخطط، في حين كانت جيوش البرابرة ضخمة العدد و ثقيلة في تحركاتها مما يجعل القضاء عليها سهلا. (جوزيف ،1984م ، ص81)

و كان جيش الإمبراطورية البيزنطية يتألف كله تقريبا من الجنود المرتزقة من البرابرة يؤتى بهم من مختلف المناطق و يعيشون على النهب و السلب و كثيرا ما كانوا يشقون عصا الطاعة في أزمات القتال، كما انه لم يكن شئ يجمعهم و يؤلف بينهم سوى حبهم لجمع الغنائم والمال (ديورانت ،1972م ،ص92)

اعتمد جوستينيان كثيرا على فن البنايات و الأسوار التي يحتمون ورائها، لذا لم يعتمدوا بشكل كبير على تجنيد الجنود و الجيوش، لكن هذه الأسوار لا تستطيع أن تحمي الإمبراطورية بشكل جيد من الهجمات الخارجية و كانت إدارة الجيش جد سيئة تحت حكم جوستنيان وكان يتألف هذا الجيش من البرابرة الجرمان الذين كانوا جد خطيرين لا يحترمون كل الأوامر التي تطلب منهم .

3.3.1. في المجال العمراني :

هناك ناحية من نواحي حياة جوستنيان تستحق الملاحظة و التقدير حيث كان له فيها نشاط واسع في ميدان البناء و التعمير الذي كان يتمثل في عشرات الكنائس و الأديرة ،القلاع،المستشفيات، الأروقة و دور القضاء ، و لا يزال الكثير منها باقيا يدل على دقة العمل و على ذوق غني رفيع، حيث لم يقم ببنايات في القسطنطينية فقط بل في باقي أنحاء الإمبراطورية البيزنطية أيضا .

حيث كان الإمبراطور لا يعرف الكلل أو التعب طريقا إلى نفسه فيما يخص البناء و التشييد و تعتبر كنائس جوستنيان هي أحسن ما عرف عنه من مبانيه حيث يظهر عليها طابع فن عمارة الكنائس الشرقية حيث كان يستعمل في بنائها النمط الروماني القديم وهي إما الكنيسة المستديرة ذات القبة، أو نمط الكنيسة المستطيلة ذات الزوايا و السقف المقبب. (جوزيف ،1984م،ص85)

وقد اوجد الإمبراطور جوستنيان نوع أخر في بناء الكنائس، حيث اتخذ طريقة الجمع بين التصميم الشبيه بالصليب و بين قبة كبيرة جدا، و تقدر كنيسة سانت صوفيا الشهيرة بالقسطنطينية التي تعرف أيضا بكنيسة الحكمة المقدسة أحسن نموذج لهذا الطراز فقد قام ببنائها للإمبراطور، المهندس الشهير أنتيميوس(Anthémus) فكانت من الفنون الرفيعة في الفن البيزنطي و المعمار البيزنطي من حيث عظمة جمالها و حسن تنسيقها و ما احتوته من النوافذ العديدة و القباب و الأروقة ذات الأعمدة الهائلة من الرخام و الرسوم الجميلة و الفسيفساء ذات الألوان الخلابة ، وصفها بروكوب: فقال عنها " أن مظهرها يبدو من أروع المناظر و أنها تطل بارتفاعها الشاهق على المدينة و مبانيها فتكسبها رونقا و جمالا ،و يعمرها الضوء من كل جانب" (جوزيف ،1984م،ص85).

كما عمل جوستنيان بجد على تجميل عاصمته و جعلها أكثر فخامة حيث كان بناءا لا يكاد يكل ولا يتعب و من اجله أقيم أعظم قصر للفن الهندسي في العالم و نعني بذلك كنيسة أيا صوفيا (Saint Sophia) أو كنيسة الحكمة المقدسة وقد شيدت أيضا زوجته (كنيسة الرسل المقدسين) حيث اندثرت تماما و قد كانت هذه الكنيسة تختلف عن كنيسة سانت صوفيا، هذا وقد ترك جوستنيان و زوجته ثيودورا أهم الآثار في مصر و هي دير (القديسة كاترينة) في شبه جزيرة سيناء و مجموع الأيقونات التي توجد في هذا الدير لا يوجد شبيه لها في العالم.

كما اعتنى جوستنيان ببناء الحصون و القلاع و الأبراج و الأسوار، كما عمل على تحصين الحدود التي كانت توجد بها كتائب مكلفة بحمايتها حيث أقام على حدود الدانوب فقط ما يزيد عن 600 قلعة لحماية مدنها من البرابرة، و لكن معظم هذه المنشآت زال تماما ، و فيما يخص المباني الخاصة فهناك من يقول أن قصور الأغنياء في القسطنطينية كانت تتألف من طابقين، و كان المبنى يبنى فوق قطعة ارض مستديرة و تحيط به الينابيع و الأشجار أما منازل الطبقة الوسطى و المعدمة كانت عبارة عن كتل من الدور المرتفعة و كانت القصور تمتد على طول شواطئ البوسفور. (جوزيف ،1984م ،ص87)

4.3.1. في المجال الديني :

منذ وصول الإمبراطور جوستينيان إلى الحكم رأى أنه من واجبه إرجاع أملاك الإمبراطورية الرومانية إلى ما كانت عليه، ولن من واجبه كإمبراطور أيضا نشر العقيدة و الديانة المسيحية وجعلها ديانة موحدة في جميع أقاليم الإمبراطورية البيزنطية، وقد سعى منذ البداية إلى إخضاع الكنيسة إلى سلطانه (العريني، 1982، ص96) كما انه من حق الإمبراطور أو الحاكم إشراك الأساقفة في إدارة شؤون الدولة وإدارة شؤون الكنيسة، و له الحق في معالجة المسائل الدينية و الإجابة على التساؤلات الدينية المطروحة . (Diehl, 1901, p317)

وقد سعى إلى القضاء على النزعة المذهبية الانفصالية التي بدت واضحة بين الكنائس المسيحية، و تتصل هذه الفكرة بسياسته الغربية أي انه كان يريد توحيد الدين و المذهب الكاثوليكي في جميع أقطار الإمبراطورية البيزنطية وتوطئة لذلك قام بفرض نفوذه السياسي و الحربي (جوزيف ،1984م ، ص77)

وحسب ويل ديورانت فقد استطاع الإمبراطور من أن يزيل الصراع الذي كان قائما بين الكنيسة الشرقية و الكنيسة الغربية في مسألة البابوية كما كان يأمل في أن يرد أتباع الأريوسية و اليعقوبية و غيرهما من المذاهب المسيحية الأخرى إلى الديانة المسيحية الارثوذوكسية الصحيحة حسبه و هو الشيء الذي لم يفكر فيه أحد منذ عهد قسطنطين. (ديورانت ،1972م ، ص91)

وكان الإمبراطور يعطف على الكنيسة، و حماية رجال الدين ، كما شجع على بناء الأديرة و الكنائس وحاول إقامة وحدة دينية في الدولة ،و رأى بأن الحاكم ينبغي أن يكون إمبراطورا و بابا في نفس الوقت، أي انه يجمع بين السلطتين الروحية و الزمنية، كما عمل أيضا على توطيد الصلة الدينية و الروحية بكنيسة روما، و يظهر ذلك من رسائله التي أرسلها إلى أسقف روما مخاطبا الأسقف بأنه (البابا) و (بابا روما) و (البابا البطريق) وأنه رئيس كل الكنائس المقدسة (العريني ،1982، ص97).

و الشيء الذي يوحي برغبة الإمبراطور جوستينيان في توحيد الديانة المسيحية و جعلها الديانة الرسمية و الوحيدة في الإمبراطورية، هو دفاعه الدائم عن الكنيسة من التدخلات الخارجية و الخلافات الداخلية ، حيث يقول في ذلك (لا يوجد شيئا أجمل من العقيدة الصحيحة عند الأمير) وهو يؤمن تماما بأن تنظيم الكنيسة يعني الدعامة الكبيرة لسلطة الإمبراطور(Diehl, 1901, p319).

ولتجسيد ذلك عقد مجامع دينية كثيرة لدراسة أمور العقيدة المسيحية من هذه المجامع نذكر: المجمع المسكوني الثاني الذي انعقد بالقسطنطينية سنة 553م وكان الهدف منه هو دراسة أمور العقيدة الكنسية، و كان من موضوعات المجمع أيضا دراسة مشكلة أتباع أورجيبنس (Orgébnis) الذي درس الأفلاطونية الحديثة حيث تعرض هذا الأخير للاضطهاد و التعذيب في عصر الأباطرة الرومان سبتيموس سيفيروس و ابنه كاركلا حيث تأثرت أرائه بديانة الهند التي تسللت عبر فارس و بلاد الرافدين إلى الشام مصر في القرن الثاني ميلادي (مرسي،2009م ، ص211).

انتشرت مجموعة من الأديان مثل اليهودية و الوثنية و الهراطقة في زمن الإمبراطور جوستينيان و لحرصه على توحيد العقيدة الدينية في الإمبراطورية لم يتسامح أبدا مع زعماء الأديان الأخرى، حيث تعرضوا إلى اضطهاد كبير و عنيف و لكي يتخلص من بقايا الوثنية، أمر جوستينيان سنة 529م بإغلاق جامعة أثينا المعروفة بدراساتها الفلسفية (العريني ،1982،ص99)، كما أصدر سنة 530م قانون يقصي فيه كل الوثنيين والهراطقة من حق الشهادة في المحكمة كما أقصاهم من كل الأعمال و الحقوق القضائية في المحاكم. (Lavisse, Rambaud, 1894, p189)

وعلى عكس موقف الإمبراطور تجاه الأديان الأخرى، فقد حظيت الديانة المونوفيزيتية (Monophésitien) بتأييد وتسامح الإمبراطور وإقامة علاقات سلمية، ومناقشة المسائل و الخلافات بطرق سلمية ، وهذا الموقف يرجع إلى زوجته ثيودورا التي كانت من أتباع المذهب المونوفيزيتي، كما حاول الإمبراطور التوفيق بين المونوفيزيتية و المسيحية ، وكان يسعى لإقامة كنيسة موحدة وكان يقوم بإرسال البعثات التبشيرية إلى الخارج وإلى الدانوب و القوقاز و شمال إفريقيا و حوض النيل ....الخ . (العريني ، 1982،ص100)

2. حروب جوستنيان وإعادة هيبة روما القديمة :

من خلال دراسة وتتبع السياسة الخارجية و الحروب التي قام بها الامبراطور جوستينيان نجد بأن هذه الحروب تنقسم إلى قسمين: منها ما كانت هجومية ومنها ما كانت دفاعية أما الحروب الهجومية فهي التي شنها الإمبراطور على الممالك الجرمانية في غرب أوروبا و شمال إفريقيا، و أما الحروب الدفاعية فالمقصود منها الدفاع عن أقاليم الدولة البيزنطية من الهجمات الخارجية أي ضد الفرس في الشرق ،و ضد الصقالبة في الشمال. (العريني ،1982، ص68)

حيث كلفت هذه الحروب خزينة الدولة أموالا كثيرة وخسائر جمة ثمنا لإحراز مثل هذه الانتصارات التي حققها الإمبراطور جوستينيان، كما ظهرت من جديد المشكلة الجرمانية في عهد الإمبراطور جوستينيان ذلك أن الجرمان هاجموا الدولة البيزنطية في القرن الخامس.

كان الإمبراطور جوستينيان يرى بأنه خليفة للأباطرة الرومان و اعتباره حاكما مسيحيا كان من واجبه استرجاع أملاك الدولة من أيدي البرابرة الجرمان، وكذا استعادة الأقاليم الرومانية الضائعة وتخليص السكان من ظلم الجرمان الأريوسيين ، يظهر ذلك من خلال ما كتبه الإمبراطور جوستينيان: " إن القوط لما استولوا على ايطاليا التابعة لنا عنوة و اقتدارا رفضوا أن يردوها لنا " ، كما كان جوستينيان يظن انه مازال يسيطر على كل الحدود التي بلغتها الإمبراطورية الرومانية القديمة في أقصى توسعاتها ، ومن حقه وواجبه استعادة هذه المناطق إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية الوريث الشرعي لها ، كما رأى انه من واجبه نشر الديانة المسيحية في جميع المناطق التابعة لها. (العريني ،1982، ص68)

ومن الأسباب التي دفعت وحفزت أكثر الإمبراطور جوستينيان إلى التوسع في الأقاليم الرومانية القديمة ، هو طلب سكان الأقاليم التي إحتلها البرابرة و التي سقطت في أيدي الاريوسيين المساعدة من الإمبراطور جوستينيان وراو فيه على انه القادر على الدفاع عنهم من بطش و اضطهاد البرابرة، فالأوضاع في شمال إفريقيا فترة الوندال مثلا بلغت حدا كبيرا من الاضطهاد و السوء المسلط على المسيحيين الأرثوذكس حيث قام عدد كبير من الأساقفة الأرثوذكس وتوسلوا للإمبراطور بأن يوجه حملة إلى إفريقيا ضد الوندال بعد أن ضمنوا له إن السكان الوطنين بشمال إفريقيا سوف يقومون بثورة عامة عندما يأتي إلى المنطقة ، ونفس الظروف ميزت الأقاليم الأخرى، ففي ايطاليا كان السكان ينظرون إلى أن الإمبراطور على انه المخلص لهم من إضطهادات البرابرة و القادر على إعادة العقيدة المسيحية إلى المنطقة هذا بالرغم من الأمن الذي ساد في المنطقة في عهد القائد ثيودوريك (العريني ،1982م، ص 69.

ومن الحروب الخارجية التي خاضها الإمبراطور جوستينيان والتي أراد من خلالها استرجاع هيبة ومجد الإمبراطورية الرومانية القديمة واسترجاع أقاليمها إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية الوريث الشرعي لها نذكر :

1.2 الحرب في أسيا الصغرى ضد الفرس :

الحرب ضد الفرس من أصعب الحروب التي شنها الإمبراطور جوستينيان منها ما كان دفاعا و حماية لحدود الإمبراطورية البيزنطية (اليوسف ،1996، ص61) ومنها ما كان بسبب التنافس الذي كان قائما بين الدولتين و سعي كل من الفرس و البيزنطيين إلى نشر نفوذه و التوسع على حساب الأقاليم الواقعة بينهما على الحدود الشمالية بالقرب من البحر الأسود، بحيث لم تبلغ هذه الحروب نجاحا مثلما بلغه في حروبه الهجومية حتى أنها كانت مهينة في أحوال كثيرة، و نقصد بذلك التي كانت ضد الفرس في الشرق وضد الصقالبة و الهون في الشمال، حيث أن القوتين الكبيرتين في القرن السادس هما الدولة البيزنطية و الإمبراطورية الفارسية وقد استمر الصراع بين الدولتين فترة طويلة نتيجة الالتحام بين الدولتين و الحدود و المقاطعات التي بينهما (العريني ،1982م، ص 75.

ومن الحروب التي خاضها الإمبراطور ضد الفرس نذكر انه وفي سنة 530م وضع الإمبراطور جوستينيان قواته تحت قيادة بليزاريوس (Blaisarus) (Cousin, 1672, p105)، حيث اتجه هذا الأخير إلى مدينة دارا(Dara) ليوقف الزحف الفارسي الذي كان من الشرق على حساب الأقاليم البيزنطية وقد انتصر بليزاريوس في هذه الحملة (*Diehl. 1969, p31*) وبعد مدة قصيرة توفي الملك قباذ وتوقفت الحروب فخلفه في الملك ابنه كسرى انو شران وقد تم إبرام الصلح والهدنة بين الطرفين استغله جوستينيان في إرسال حملة إلى شمال إفريقيا ضد الو ندال و استدعى إلى ذلك القائد بليزاريوس (Blaisarus) للقيام بها سنة 533م (عمران ،2002،ص53 .

وفي سنة 540م يتجدد الصراع بين الطرفين مرة أخرى و ذلك بسبب انتصارات البيزنطيين في إفريقيا الشمالية ضد الوندال وفي ايطاليا ضد القوط الشرقيين، والتي أزعجت الملك كسرى انوشران و خشي من تزايد القوة البيزنطية كما حظي كسرى بتشجيع القوط له على مهاجمة البيزنطيين(Cousin ,1672 p139) ، هذا ولم يتردد كسرى في ذلك فأعد الجيش و سار إلى الشام و استولى على بعض المدن في الفرات ولم تتوقف قوات كسرى عن الزحف حيث عرض عليه الإمبراطور جوستينيان الصلح فقبل كسرى بذلك (عمران ، 2002 م، ص54)

وفي سنة 541م تجدد الصراع بين الدولتين حيث توسع الملك كسرى انو شران إلى المناطق الأرمينية و شرقي البحر الأسود وقد استمرت هذه الحرب إلى سنة 544م انتهت بهدنة و اتفاقية بين الطرفين وكانت شروط المعاهدة تنص على: عقد الصلح لمدة 50 سنة و تعهد فيها الملك الفارسي كسرى انوشران بمراعاة حقوق المسيحيين مقابل أن يمتنع الإمبراطور جوستينيان من جهته و يمنع المبشرين المسيحيين من التبشير بالديانة المسيحية في الأراضي الفارسية وكذا الالتزام بدفع جزية سنوية للفرس. (عمران ، 2002 م ص55)

2.2 الحرب في إفريقيا ضد الوندال:

لم تكن الحرب ضد الوندال مسألة سهلة على الإمبراطور جوستينيان، إذ تطلب ذلك نقل جيش ضخم إلى إفريقيا عن طريق البحر، و قد ترتب عن نقل الجيش أن تعرضت القسطنطينية إلى هجمات الفرس من الشرق وهم أخطر أعداء الإمبراطورية البيزنطية، وقد صادف ذلك التردد الذي أصاب الإمبراطور جوستينيان في البداية بسبب ما أعلنه المقربين منه وشكوكهم في نجاح هذه الحملة والتي اعتبروها مجازفة ومخاطرة من الإمبراطور، لكنه لم يأبه بذلك وقرر في الأخير القيام بهذه الحملة مهما كلف الأمر (العريني، 1982، ص 70)

وحسب بروكوب الذي رافق الحملة فقد بلغ عدد الجنود الذين تم نقلهم إلى إفريقيا و إشراكهم في هذه الحملة إلى عشرة ألاف مشاة و خمسة ألاف من الفرسان ليصل العدد الإجمالي لهذه الحملة خمسة عشر ألف جندي (Procope, H.G.C.V, 1. 9.)

وقبل انطلاق الحملة قام الإمبراطور جوستينيان بعقد الصلح مع الفرس سنة 532م إلى أجل غير مسمى ومع ملكهم كسرى انوشران كما دعا قائده الحربي المشهور بليزاريوس (Blaisarus) على رأس الجيش لقيادة الحملة إلى إفريقيا ضد الوندال (Diehl.1901, P33) .

أما السبب الحقيقي من وراء حملة جوستينيان على شمال إفريقيا هو بالدرجة الأولى اقتصادي و هو الطمع في خيرات شمال إفريقيا إضافة إلى رغبة الإمبراطور تخليص المنطقة من الوندال وتخليص رجال الدين من الاضطهادات الأريوسية التي تعرضوا لها كما كان للإمبراطور رغبة شديدة في نشر المسيحية في المنطقة واسترجاعها إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية الشرقية. (Diehl.1901, P33))

وصلت الجيوش البيزنطية إلى قرطاج بقيادة بليزاريوس سنة 533م وقد لقيت ترحيبا كبيرا من طرف السكان الرومان ورجال الدين حيث أشعلوا الأنوار طوال الليل تعبيرا منهم عن الفرح و السرور بوصول الحملة البيزنطية إلى المنطقة (Procope, H.G.C.V, 1.20) لأنهم كانوا ينظرون إلى البيزنطيين على أنهم المخلص لهم من ظلم و اضطهاد الوندال (Diehl, 1901, p177)

يذكر بروكوب انه وبعد وصول الجيوش البيزنطية بقيادة بليزاريوس إلى حدود العاصمة قرطاج اتخذ ذلك اليوم كيوم لبداية المعارك ضد الوندال ، وقبل الدخول إلى قرطاج ألقى بليزاريوس خطابا على جنوده وخاطبهم بضرورة النجاح في هذه الحملة وتحقيق النصر على الأعداء والإحسان إلى السكان وخاصة الذين يتكلمون اللغة اللاتينية ولهم التقاليد و الثقافة الرومانية ، وبعد معركتين حاسمتين استطاع بليزاريوس الدخول إلى قرطاج دون أي مقاومة تذكر و جلس على عرش جيلمار(gélmar) (.Procope, H.G.C.V, 1. 20)

وبالانتصار على الوندال بدأت أحلام ومشاريع الإمبراطور جوستينيان تتحقق على أرض الواقع وواصل القادة البيزنطيين انتصاراتهم و التحكم في الساحل الإفريقي بعد بليزاريوس أمثال سولومون (Solomone) و جيرمانوس (gérmanous) و يوحنا التروقيليتي (Jean Trojilien) وبفضل هؤلاء القادة استطاع الإمبراطور من القضاء على كل محاولات البربر المتكررة في طرد البيزنطيين من المنطقة والى غاية الفتح الإسلامي والذي بفضله انتهت فترة الاحتلال البيزنطي لشمال إفريقيا . (عمران ، 2002 م، ص57)

3.2 الحرب في إيطاليا ضد القوط الشرقيينOstrogoth:

بعد وفاة ثيودوريك ملك القوط الشرقيين سنة 526م بدأ الضعف يدب في كيان دولة القوط الشرقية وقد خلفه في الملك ابنته امالا سونتا (Amala-Sonta) وصية على ابنها اثالريك (Athalric) وكان عمره عشر سنوات حيث لم يرض القوط بملك هذا الأخير لصغر سنه فأشركت امالا سونتا ابن عمها ثيودوهان (Théodohane) في الحكم والذي سوف يقدم على نفيها و إعدامها، وكان ثيودوهان ملك ضعيف غير قادر على التحكم في تسيير أمور الدولة (عمران ، 2002 م، ص57.

وحسب شارل دييل فقد كان الإمبراطور جوستينيان يتتبع الأوضاع و الأحداث التي كانت سائدة في ايطاليا ، حيث قرر في غضون هذه الاضطرابات التي مست دولة القوط الشرقيين أن يشن حملة على ايطاليا سنة 535م لاسترجاع المنطقة إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية الوريث الشرعي لها، وقد نجح بليزاريوس في

القضاء على ثيودوهان و احتلال صقلية، وكما حدث بشمال إفريقيا فقد رحب السكان في ايطاليا بالبيزنطيين وبالقائد بليزاريوس الذي اعتبروه المخلص والمنقذ لهم من اضطهادات القوط ، وبعد خمس سنوات من الحرب و التوسع استطاع الإمبراطور من ضم ايطاليا في قسمها الجنوبي إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية ولكن ذلك لم يدم طويلا حيث ظهرت مقاومات جديدة من قبل القوط بقيادة توتيلا (Diehl, 1901, p183).

وفي الوقت الذي لم يستطع فيه بليزاريوس من القضاء على الثورة في ايطاليا وطول مدة الصراع وما أتت عليه من أضرار وخسائر مادية و بشرية حيث كانت هذه الحرب محط قلق البيزنطيين ، قرر الإمبراطور جوستينيان سنة 550م تسليم مهمة القضاء على الحرب في ايطاليا لابن عمه جيرمانوس (Gérmanus)وقد توفي هذا الأخير في نفس السنة أي سنة 550م (Diehl, 1901, p 196) ونتيجة لذلك استدعى الإمبراطور القائد نرسيس (Nersis) لتولي مهمة قيادة الجيش في ايطاليا و القضاء على هذه الثورة التي كلفت الكثير من الخسائر، حيث نظم نرسيس الجيش في (دلماشيا) مابين 551-552م وكان بارع بفنون الحرب و قيادة الجيش (Diehl, 1901, p 200)، وبعد معارك كثيرة بين الطرفين استطاع القائد نرسيس في معركة باسطا قالوريم (Busta Galorum) في امبيريا من القضاء على ثورة توتيلا سنة 554م وتأكيد السيطرة البيزنطية في المنطقة والسيطرة على كل من نابولي روما و صقلية ورافانا عاصمة القوط الشرقيين (Diehl, 1901, p 200).

4.2 الحرب في إسبانيا ضد القوط الغربيين Visigothe:

الحملة على اسبانيا و ضد القوط الغربيين هي آخر الحملات التي شنها الإمبراطور جوستينيان بقيادة بليزاريوس في الغرب مستغلا في ذلك الصراعات الداخلية عل العرش حيث قام بإرسال حملة إلى إسبانيا ليسيطر على الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة الإسبانية *(Diehl., 1969, p29)* وقبل ذلك فقد تمكن القوط الغربيين من أن يمدوا نفوذهم إلى مدينة سبتة بموريطانيا الطنجية غير أن بليزاريوس انتزعها منهم وتم إجلائهم منها أثناء حملته على الوندال كما حاول بعد ذلك ثيودوس (Théodos) استعادة مدينة سبتة في فترة الصراع البيزنطي مع القوط الشرقيين لكنه فشل بعد المعركة التي جرت بينه وبين بليزاريوس عند قلعة سبتة سنة 544م وكانت هزيمة قاسية (عمران ، 2002 م ،ص60) .

وبعد موت الملك ثيودوس ملك القوط الغربيين وبداية الصراع على الحكم من بعده استغل جوستينيان ذلك الوضع وأمر حاكم المقاطعة الإفريقية ليبروس (Lébros) بإعداد الجيش و العبور إلى اسبانيا حيث نزل هذا الأخير في مدينة قادس و تمكن من الإستلاء على الساحل الجنوبي بمساعدة السكان الأصليين و انضمام بعض الثوار إلى الجيش البيزنطي حيث سيطرت الجيوش البيزنطية بعد ذلك على كل من قادس ، قرطاجنة و غرناطة و بعد معارك وحروب طاحنة توصل الطرفان إلى عقد الصلح و احتفاظ كل طرف من الطرفين بالأقاليم التي تحت سيطرته دون التوسع على الطرف الأخر (عمران ، 2002 م، ص59-60)

ويظهر من هذه الحملة أن الإمبراطور لم يتمكن من السيطرة على كامل شبه الجزيرة الإيبيرية (مختار،.1971م، ص102) حيث يرى بعض المؤرخين في ذلك وفي حملته على إسبانيا على أنها حملة فاشلة لأنها لم تتمكن من استرجاع كامل المنطقة إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية بينما يرى فريق أخر أن سياسة وحملة الإمبراطور في إسبانيا كانت ناجحة لأنه سيطر على الجزء الأكبر في المنطقة أي الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة الايبيرية (عمران ، 2002 م ، ص61)

3. نهاية حكم جوستينيان :

عرفت إمبراطورية جوستينيان في السنوات الأخيرة من حياته نوع من الضعف و الانهيار في كل مواردها الإدارية و العامة، حيث بلغ سن الإمبراطور جوستينيان في سنة 550م تقريبا 67سنة وبذلك يكون قد فقد نوع من الحيوية و الطاقة التي دفعته فيما مضى إلى احتلال إفريقيا و إيطاليا ، غير أن قدرات و آمال الإمبراطور بدأت تنحط وتتلاشى يوما بعد يوم، وخاصة بعد وفاة زوجته ثيودورا سنة 548م التي كانت السند القوي له في تحقيق طموحاته، والتي كانت من وراء نجاحاته ويظهر ذلك بعد وفاتها مباشرة حيث بدأت قوته تضعف ما يؤكد ذلك حملاته الفاشلة في ايطاليا ، وقد وجد صعوبة كبيرة في القضاء على الثورات التي كانت في المنطقة كما أنه لم يعد يهتم بالجيش و لا بالفتوحات التي كان يحب القيام بها. (Diehl, 1901, p414)

أما التشريعات التي شرفته كثيرا فيما مضى و في بداية حكمه توقفت و لم تكن هناك قوانين أخرى خاصة مابين سنتي 555م - 565م مقارنة بالقوانين التي سنها فيما بين 536م و 541م، و أمام انتشار عدوى الفساد في الإدارة وغياب الوجوه والأشخاص التي تقوم بتسييرها ذهبت كل أحلام الإمبراطور وحدث تلاشى و تقهقر الجيش وتناقص عدده بشكل كبير بسبب الظروف الاقتصادية ونقص التموين وكذا انقسامه و تشتته في كل من إفريقيا ايطاليا و اسبانيا (Diehl, 1901, p414 ،حيث أصاب الجيش ضعف كبير و انصراف معظم الجنود من الحياة الجندية إلى الحياة الاجتماعية وهو ما أدى إلى الضعف و التقهقر.

كما يظهر العجز المالي الكبير الذي أصاب الإمبراطورية سنة 552م بسبب كثرة الحروب و سوء التسيير بالرغم من الضرائب الثقيلة التي أثقلت كاهل السكان(Diehl, 1901, p424) ، و كان العجز في جميع القطاعات الإدارية و القضائية منها وبدأت بذلك الفوضى و الاضطرابات تدب في المجتمع و بدأت المظاهرات و الاحتجاجات التي تطورت إلى صراعات و حروب داخلية في أحيان كثيرة (Diehl, 1901, p426)

لم تتناسب مشاريع جوستينيان الكبيرة مع طاقة الإمبراطورية المالية فالعصمة والبذخ والإنشاء والتعمير في طول البلاد وعرضها فضلا عن الحروب التي خاضها تتطلب أموالا كثيرة عجزت عنها موارد الدولة، ومع نهاية عهد جوستينيان عجزت الدولة عن القيام بالتزاماتها فتوقفت الإصلاحات، و تناقص عدد الجيش كما سبق الذكر لذلك لجأ جوستينيان إلى تغيير سياسته المالية حيث بدأ بزيادة الضرائب التي أثقلت كاهل المجتمع البيزنطي، فعادت الأحزاب السياسية إلى الظهور و عادت الاضطرابات إلى داخل العاصمة

ورغم كل ذلك فقد كانت أهدافه في الإصلاح الداخلي رائعة و محاولاته في إعادة مجد الإمبراطورية الرومانية في أوروبا و في الساحل الإفريقي عظيمة و محاولاته التي ترمي إلى توحيد كلمة الدولة و الكنيسة كانت في مصلحة الاثنين وأصبحت مثلا يحتذي به على مر العصور، و كذلك الجهود التي قام بها في تنظيم الإدارة و التشريع و القضاء كانت نابعة من رغبة أكيدة لنشر الأمن و العدل بين المواطنين (عمران ، 2002 م ،ص62)

توفي جوستينيان سنة 565م (هسى ،1997، ص94) تاركا ورائه إمبراطورية مترامية الأطراف و منهمكة القوى، فمعظم الأقاليم التي تم ضمها للإمبراطورية البيزنطية في الغرب سببت الكثير من الحروب التي شنتها الجيوش وخرجت بسببها محطمة اقتصاديا و أصبحت عملية حمايتها والاحتفاظ بها عبئا اقتصاديا إضافيا وقع على عاتق القسم الشرقي من الإمبراطورية (فرح ،1987، ص99).

خاتمة: نستنتج من خلال ما سبق أن:

عصر جوستينيان شهد محاولات كبيرة لاستعادة مجد روما القديمة، لذلك خاض جوستينيان مجموعة من الحروب في الشرق و الغرب وسيطر على أقاليم كثيرة ،كما كان للإصلاحات الإدارية والمالية و القانونية أثرها الواضح في عهد الإمبراطور جوستينيان وقد صدرت هذه القوانين باللغة اليونانية مما يظهر التأثير الهيليني الواضح في الإمبراطورية البيزنطية.

كما شيد جوستينيان مجموعة من المباني الضخمة خاصة كنيسة أيا صوفيا و كنيسة الرسل المقدسيين في القسطنطينية و يظهر من ذلك ذروة التقدم في فن العمارة البيزنطية في عصر جوستنيان ويرى بذلك الكثير من المؤرخين أن عصر جوستينيان يمكن أن يكون البداية الحقيقية للتاريخ البيزنطي .

كلفت حروب جوستينيان الخزينة أموالا كبيرة مما أدى إلى إعاقة تطور التجارة مع الشرق كما أن السياسة التعميرية التي انتهجها الإمبراطور في تحصين الإمبراطورية استلزم موارد مالية كبيرة وهي أسباب أدت ضعف قوة الإمبراطورية

إلا انه نجح في إعادة مجد الإمبراطورية الرومانية القديمة ولو بشكل اقل، يظهر ذلك في مجالات كثيرة منها توسيع الإمبراطورية البيزنطية وسيطرتها على أجزاء كثيرة كانت تحت القبائل الجرمانية في كل من آسيا إفريقيا ايطاليا وشبه الجزيرة الأيبيرية.

كما استطاع الإمبراطور جوستينيان تنظيم الإمبراطورية البيزنطية و إعطائها هيبة روما القديمة في البحر المتوسط كما أسس لإمبراطورية قوية ومتينة قاومت المد الفارسي في الشرق واستمرت لعدة قرون بنفس الهيبة بعد وفاة الإمبراطور جوستينيان .

لم يفلح الإمبراطور جوستينيان كثيرا في إصلاح عيوب الإدارة رغم الكم الهائل من المراسيم و القوانين التي أصدرها طيلة فترة حكمه التي دامت قرابة نصف قرن ، حيث لم تغير تلك القوانين شيئا كبيرا ، ذلك أن الفتن و الابتزاز و السرقة ظل مستمرا حتى بعد وفاته.

ومن العيوب الإدارية التي ارتكبها جوستنيان أنه إذا استدعت الحاجة إلى المال يلجا إلى استخدام إجراءات كان قد استنكرها في مراسيم سابقة، ومن ذلك صار بيع الوظائف بأثمان عالية ، و قام باستحداث ضرائب جديدة تفوق قدرة و استطاعة السكان من تأديتها، وهو ما يؤدي إلى اضطراب الأوضاع و نشوب ثورات في مواضع كثيرة من الإمبراطورية.

ويمكن تقسيم فترة حكم الإمبراطور جوستينيان التي دامت ثمانية وثلاثين سنة إلى ثلاثة أقسام، المرحلة الأولى تبدأ من 527-533م وقد حقق خلالها الإمبراطور الوحدة في كل المجالات ونجح في تسيير شؤون الإمبراطورية و حقق بذلك الأمن و الاستقرار داخل الإمبراطورية ، والمرحلة الثانية كانت بين 533-540 م حقق خلالها الإمبراطور انتصارات كبيرة في توسيع الإمبراطورية وصل حتى غربي المتوسط، والمرحلة الثالثة من540م إلى وفاة الإمبراطور سنة 565 م وهي أكثر المراحل من حيث طول المدة لكن شهدت خلالها إمبراطورية جوستينيان نوع من الضعف والتقهقر في جميع المجالات السياسية والعسكرية .

المراجع:

1- العريني، السعيد .(1982)، الدولة البيزنطية 323-1081 ، بيروت

2- اليوسف،عبد القادر.(1996)،الإمبراطورية البيزنطية،بيروت

3- بروكوب ، القيصري.(2003)،التاريخ السري ،ترجمة علي زيتون، سوريا

4- جوزيف، نسيم.(1984م)، تاريخ الدولة البيزنطية(284-1453م)،الإسكندرية

5- ديورانت، ديل .(1972م)، قصة الحضارة ،ج4،القاهرة

6- عمران ، محمد سعيد.(2002 م)، الامبراطورية البيزنطية و حضارتها، بيروت

7- فرح ، نعيم. (1987)،تاريخ و حضارة الامبراطورية البيزنطية،الاسكندرية

8- مختار.عباس.1971م)، الدولة البيزنطية، ليبيا

9- مرسي،الصادق. (2009م) ،حضارة الرومان في العصور الوسطى الازدهار و التدهور ، القاهرة

10- هسى.جورج. (1997)،العالم البيزنطي،تر رأفت.ع.ح،الاسكندرية

11- جيبون،إدوارد. (1997م) .

12- Cousin, Mr, (1672), Histoire de Constantinople depuis le regne de l'anciene Justin jusqu'à la fin de l'empire, T 1, paris.

13- Diehl, Ch, (1901), Justinien et la civilisation byzantine au 5 eme siècle, paris.
14- Diehl.Ch, (1936), Histoire de moyen âge. Le monde oriental de 395 à 1081, TIII, Paris.
15- Diehl.Ch, (1969), Histoire de l'empire byzantin.
16- lavisse, E Rambaud, A, (1894, Histoire générale de 4 eme siècle à nos jours, T1, paris.
17- Limousin, E, (2005), 100 Fichiers d'Histoire du moyen âge Byzance et le monde musulmane.
18- Procope, H.G.C.V, 1. 9, trad. Cousin,Mr.
19-Bréhier.L,(1969), Le monde byzantine.vie et mort de byzance, Paris.
20-Isambert, M, (1865), Histoire de justinien, 1ère partier, paris.
21-Isambert,M, (1856), Histoire secrète de justinien tradive de procop, Paris .
22-Pietri. L. (1966) Le Monde et son histoire.III.époque médiévale (5ème--15ème siècle) , Paris.